سينما

أفلامٌ فرنسية خارج المألوف

عنف مغلّف بالدعابة

أفلام فرنسية حديثة الإنتاج تكشف نمطاً مختلفاً في مقاربة أحوال المجتمع والسياسة والنفس والجسد بأساليب تمزج العنف بالكوميديا والسخرية

باريس ـ **ندى الأزهري**

تُبهر السينما الفرنسية، في بعض أفلامها الجديدة، في خروجها عن المألوف، وانطلاقها نحو فضاءات غريبة، وطرحها مواضيع متفرّدة، تسبر أحوال مجتمع وعيشه وتحوّلاته بأسلوب متميّز، يعتمِد مبالغة وعبثية وعنفاً، ويستند إلى سخرية مريرة وفكاهة سوداء. أفلامٌ تشترك في مفرداتٍ، كأنّها صرخة تحذير، ونبوءة فنان قادر، أكثر من غيره، على تلمّس الواقع وآفاقه المستقبلية.

فوز «تيتان»، لجوليا دوكورنو، بالسعفة الذهبية للدورة الـ74 (6 ـ 17 يوليو/ تموز 2021) لمهرجان «كانّ»، مفاجأة كبرى. فيلمٌ غريب، وسينما تنتمي إلى نوع جديد، فرنسياً. عنيفٌ إلى درجة يصعب تخيّلها في فيلم فرنسي. ففي 3 أفلام لها (واحد قصير واثنان طويلان)، ترفد دوكورنو السينما الفرنسية بعوالم جديدة، تحرّك ركوداً فيها، وارتكازاً على الاجتماعي والكوميدي، في قصصٍ بسيطة وعادية، تلامس الواقع. كما تفرضُ نوعاً سينمائياً جديداً، يخرج عن مسارات مألوفة. عوالمها قائمة على تحوّلات الجسد وتشوّهاته وجروحه المترافقة مع ظهور ميول وحشية لدى الكائن، هنا الأنثى.

في «تيتان»، رؤية سوداوية لعالم قائم على العنف، ولشخصياتٍ تائهة ومعزولة ويابسة، ويائسة من ملاقاة الحبّ والإحساس بمشاعر إنسانية؛ وتطرح تساؤلات عن تحوّلات النوع البشري، ونوازع الذكورة والأنوثة، جسدياً ومعنوياً. معان تتجسّد في راقصة تعرٍّ (آغات روسّل) صامتةً، يلفّها غموضٌ ومظهرٌ مُنفّر ذو تعابير عدوانية. كائنٌ هجين، مُغرم بالقتل المتسلسل والدم. الجنس وسيلته لتحقيق شهوات إجرامية. لا تبريرات مباشرة لدوافعه وأفعاله، ولعلّها العلاقة بالأب في الصغر والكبر، أو هذا المعدن الصلب المقاوم للحرارة (التيتان)، المغروز في رأس المرأة منذ طفولتها، بعد عملية جراحية. حين تضعها الظروف في طريق رجل إطفاء غريب (فانسان لاندون)، يتلمّس الأخير فيها ابنه المفقود. عبره، تتعرّف على مشاعر جديدة، وعواطف لم تحسّ بها من قبل. يُعيد إليها شيئاً من إنسانيتها المعدومة. في فيلمٍ يعجّ بمَشاهد دموية وقتل وخروج أعضاء، وبعنفٍ لا يُحتَمَل، تؤدّي الدعابة دوراً أيضاً.

هذه إحدى مفردات تشترك بها أفلام عدّة: عنفٌ تغلّفه روح دعابة. فمع مشاهد أعضاء مبتورة ومتطايرة، ودماء غزيرة ونافرة، وأجساد مُشوّهة ومُقطّعة، يبقى للكوميديا مكان. في فيلمٍ أقلّ مأسوية ظاهرياً. لكنّه،

أفلام جديدة تطرح مواضيع متفرّدة وتسبر أحوال مجتمع

كـ«تيتان»، يستند إلى شخصية مضطربة عقلياً، وإنْ لم تتفرّد بالبطولة، تبقى الأكثر حضوراً وتأثيراً. يتجسّد العنف في أعلى درجاته: «برتقال مُدمّى» (2021)، الفيلم الثاني لجان كريستوف مُريس، الذي لا يوفّر أحداً. إنّه الفيلم «الشرير»، الذي «هزّ» مهرجان «كانّ» 2021، ومُنع مَن هم أقلّ من 12 عاماً من مشاهدته، وهذا نادرٌ بالنسبة إلى فيلم فكاهي في فرنسا.

3 حكايات في ليلةٍ واحدة: زوجان متقاعدان ومثقلان بالديون، يحاولان الفوز في مسابقة رقص على موسيقى الـ«روك»؛ وزير اقتصاد (فرنسي)، يسعى إلى تبرئة نفسه من إشاعة التهرّب الضريبي (المخرج اختار ممثلاً يُشبه وزيراً فرنسياً مشهوراً)؛ ومثليّ الجنس، يُلاحق مُراهقةً شابة لاغتصابها. تمزج الحبكةُ العنفَ بالخيال الجامح، والضحك بالرعب، والحب بالوحشية، مُقدّمةً كوميديا مُروِّعة ومتشائمة عن مجتمع يقف على شفير الهاوية. أفراده يستدينون مالاً، من دون قدرةٍ على تسديد الدين، ويتهرّب سياسيّوه من المسؤولية والضريبة، وتنبح شخصياتٌ لفظها، مُعبرةً عن مشاعر بغض وكراهية، عبر ميول جنسية مرضية.

نقدٌ لاذع للمجتمع الفرنسي: ماذا سيحصل، عندما يُدفع زوجان عجوزان إلى الاستهلاك فاليأس؟ كيف تتصرّف فتاة، حين تقرّر معاقبة مغتصبها، وجعله يدفع الثمن؟ وكيف يعمل وزيرٌ، ينكشف أمره ويُهان؟ نظرة جديدة على المجتمع، مُغمّسة بـ«الحموضة»، كما يليق بها أن توصف.

الشخصيات الهامشية، والكائنات البائسة والمسكونة بالعنف، التي تقوم عليها هذه الأفلام، موجودة أيضاً في «هذه الموسيقى لا تُعزَف لأحد» (2021)، لصموئيل بنشْتْريت، المعروض في مهرجان «كانّ» 2021 («كانّ» للعروض الأولى). كائنات منعزلة في مدينة ساحلية صغيرة، ومحبوسة في نفسها وفي العنف اليومي والقتل السهل، لكنّ حياتها تتغيّر كلّياً بفعل المسرح والشعر والفن؛ وبفضل الحبّ تتحوّل رؤاها. مصائر متقاطعة لمصفّفة شعر (فانيسا بارادي)، لا يتوقّف تلعثمها إلاّ حين تمثّل في فرقة هواة مسرحية، عن سارتر وسيمون دو بوفوار؛ ورئيس عصابة يُغرم فيها، هو المعتاد على حلّ الأمور والمشاكل بالعنف والضرب والتهجّم، مع أفراد هامشيين خاضعين له، وبات الآن مستعداً لنظم الشعر، للفت انتباهها. لكنّه ليس الوحيد في العصابة الذي يسعى إلى هذا الهدف. تحوّلات الأفراد تُثير الضحك في تعبيرها عن غرابة العالم وعنفه. وهذا بأسلوبٍ عبثيّ ساخر، حيث الوصول إلى الحبّ يتمّ عبر تصفية الآخرين، والعنف وسيلة معتادة للشخصيات الهامشية في المجتمع لحلّ مشاكلها. يفاجئ بنشْتْريت بفيلمٍ جميلٍ وشديد الإمتاع، مع ممثّلين أتقنوا أدوارهم بشكلٍ رائع.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

«هذه الموسيقى لا تُعزَف لأحد» لصموئيل بنشْتْريت: عن الحب والعنف (الملف الصحافي)

فيلمان لـ«نتفليكس»: إثارة وأكشن وجنس

محمد بنعزيز

حبيبان هاربان في غابة أميركية، يحاولان الوصول إلى مدينةٍ، من دون ضجيج (الأم/ الآلة). طفلٌ وأمّه في منطقة إسبانية نائية وخطرة (المستنقع).

تجري أحداث «الأم/الآلة» (2021)، لماتسِن تومِلن، في ما بعد القيامة. في 5 دقائق، وقع حبّ وحمل ونسيان وصدام وزلزال وهروب ومطاردة. قامت القيامة بسبب ثورة الآلات، لا بسبب العقاب الإلهي. هذا فيلم خيال علمي. لكنْ، لا مكان للعلم فيه، لأنّ العلم غامضٌ. فيلمٌ على الطريق، حيث تحدث مطاردة. أفلام الطريق أنسب نوع للتصوير بكاميرا محمولة. لمُشاهدة المطاردة، انظر إلى قدميك لترى أين تمشي، ولا تنظر إلى أعلى كي لا تقع في أول حفرة.

«المستنقع» (2021)، لديفيد كاسْادمِنت، فيلم رعب عن مرحلتين: يتصارع البشر فيما بينهم، لأنّهم يعيشون في جماعات. حين يُضطرّون إلى العيش منعزلين، يتصارعون مع أوهامهم. حين يعاينون حجم الأضرار التي سبّبتها لهم أوهامهم، يكتشفون أنّ الجحيم ليس هو الآخر، بل أوهامهم التي تُعشّش في أدمغتهم. حتّى حين يحاولون التخلّص منها، يفشلون، لأنّهم صدّقوها ورفعوها إلى مرتبة الحقيقة.

فيلمٌ فيه اقتصاد كبير، مع كثافة في الأثر النفسي. رحل الرجل. الأب لن يعود. تعلن الأم: «لنبقى أحياء، هيا نقاتل» ضد أشباح المكان، التي تشبه الجداريات السوداوية لفرانثيسكو دي غويا (مرسومةٌ على جدران منزلٍ، أقام فيه غويا بين عامي 1819 و1823، معروف باسم «بيت الصمّ»، في إحدى ضواحي مدريد)، في إسبانيا القرن الـ19، التي لم تدخل بعد عصر الأنوار، كما حصل في الدول الأوروبية، كفرنسا وإنكلترا. هنا تربة خصبة للجهل الذي يلِدُ أشباحاً رهيبة حين يتعطّل العقل، كما قال الرسّام غويا.

«الأم/الآلة» و«المستنقع» يعرضان شخصيتَيْهما في أشدّ الاختبارات عنفاً. للشاب حبيبة عنيدة، وللطفل أمّ مجنونة. فيهما يُعزَل البطلان عن الجموع، وتتمّ إعادتهما إلى الحياة البدائية المُنهكة للجسد. اختير فضاءٌ قليل الإضاءة لزيادة مصداقية الخوف. تمّت مَوقعة زمن السرد في غابة ممطرة، قبل اختراع الكهرباء، ليكون الخوف من الظلام مُبرَّراً. تمّ تحويل منزل ومستشفى الى متاهة. شخصٌ يجري، وعدوّ يطارده. يتوقّعه من الباب، فيأتي من النافذة. يتجنّبه في حفرة، فيخرج من وراء شجرة. تتوالى لحظات هدوء، وفجأة يظهر خطرٌ غامض، يُعالَج بصعوبة. يحلّ الهدوء، ثم ينبعث خطرٌ آخر. سواء في الماضي المتخلّف لإسبانيا، أو في مستقبل أميركا الأكثر تطوّراً، تتردّد القواعد الحكائية نفسها.

في كلّ مشهدٍ، غموضٌ يُخفي خطراً. بعد القيامة، يعود الإنسان إلى البدائية في غابة. تتداخل الأزمنة. حتّى في زمن الثورة الرقمية، يُشكّل سَماع الأم نبض قلب جنينها في رحمها حالةً شعورية قوية. هناك احتمال ولادة تقليدية. كلّ ما كان مُتوفّراً رخيصاً، صار نادراً أو مُنعدم الوجود. رحلةٌ في عالمٍ من دون إنترنت، في القرن الـ21. يُختَبَر الطفلُ الذي يرى نفسه رجلاً، والحبيبُ الذي سيصير أباً. واضحٌ أنّهما جاهزان للتضحية.

قواعد حكائية واحدة في ماضي إسبانيا ومستقبل أميركا

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

«الأم/الآلة» لماتسِن تومِلن: ما بعد القيامة (الملف الصحافي)

أقوالهم

أنا مهتمّةٌ بنهاية غزو الغرب الأميركي، وبطريقة فوز الروّاد في هذا الغزو، عندما بُنِيَت المزارع، وانسحب الهنود المنهزمون والمكبوتون إلى المحميات. في غالبية أفلام الوسترن، لا تذكر شخصية راعي البقر هذه الأحداث، ويهتمّ كثيراً بأنْ يحتفظ بالصورة التقليدية لرعاة البقر الأصليين.

جاين كامبيون

أرغبُ في سرد حكاية شخص مستعدٍّ للمخاطرة بحياته كي لا يَفْقد هويّته. كأنْ يكون فيلماً كلاسيكياً، مثلاً، يحكي عن أبطالٍ خارقين يَفْقدون قواهم الخارقة للطبيعة، فيجهدون في البحث عنها طويلاً. إلى ذلك، أفكّر كثيراً بأهلي الباقين في الصين، محاولةً العثور على كيف يُمكن لأقاربي، البعيدين جداً عن شخصيات أفلامي، يُمكنهم أنْ يندغموا في قصص كهذه.

كلوي زاو

أفعالهم

La Fracture لـ **كاترين كورسيني** (الصورة): تشهد ليلةٌ من ليالي شتاء 2018 لقاء أفرادٍ، لا أحد منهم يعرف الآخر: في مرحلة التحضير لانفصاله عن زوجته، يكسر راف ذراعه، ويُنقل إلى غرفة طوارئ مشفى باريسي، يصل إليها يان بعد تعرّضه لإصابة أثناء تظاهرة لـ«السترات الصفراء». كلّ واحد يواجه مناخاً ثقيلاً بالأحداث والانفعالات والاضطرابات.

Drive My Car لرايوسْكاي هَمَغوتشي، تمثيل **رايكا كيريشيما** (الصورة): يُجبَر مسرحيٌّ على أنْ تُرافقه مُراهِقَة في جولاته لتقديم «العم فانيا» لتشيخوف، فيتعرّف كلّ واحد منهما إلى الآخر، بالحوار والتواصل والمساعدة على فهم أمور كثيرة في الحياة، ما يؤدّي تدريجياً إلى التئام جراحهما المختلفة، وأبرزها العلاقة الملتبسة بالأهل والعائلة والذات والموت.

أخبار

◆ بمناسبة إطلاق العروض الدولية لوثائقيّه الجديد JFK Revisited: Through The Looking Glass، بعد وقتٍ على أول عرض له في برنامج «الحفلات الخاصة»، في الدورة الـ74 (6 ـ 17 يوليو/تموز 2021) لمهرجان «كانّ» السينمائي، قال الأميركي أوليفر ستون، في حوار مع أوبير نيوغْري، منشور في العدد 730 ـ ديسمبر/كانون الأول 2021 للمجلة الفرنسية «بوزيتيف»، إنّ الأجيال الأميركية الجديدة لا تعرف شيئاً عن اغتيال جون فيتزجيرالد كينيدي، إلاّ إذا شاهدوا فيلميه، الروائي الطويل «ج أف ك» (1991) وجديده هذا: «نحن في ثقبٍ أسود.

تغيرت الولايات المتحدّة. لم يعد هناك رقابة. الناس يُشاهدون «فيسبوك» و«تويتر».

(المنصّة الأميركية) «نتفليكس» تقترح أعمالاً وثائقية عن الأسود والنمور لتشتيت الانتباه». أضاف بنبرة شبه ساخرة ومريرة: «الرغبة في الحقيقة؟ آآآه»، منهياً انزعاجه من انفصال هذه الأجيال عن تاريخ البلد وأحداثه وذاكرته، بالقول: «نحن عجائز كفاية كي نُدرك أنّ الأمور تتغيّر. أتمنّى أنْ تظهر الحقيقة. على «يوتيوب» ربما».

◆ أعلنت «سوني كورب»، في بيان، أنّها ستؤجّل إطلاق العروض التجارية لفيلمٍ جديدٍ لها منتمٍ إلى سلسلة أفلام الأبطال الخارقين»، بعنوان «موربيوس»، لدانيال إسبينوزا، إلى الأول من أبريل/نيسان 2022، بعد أنْ تقرّر إطلاقها في 28 يناير/كانون الثاني الجاري. والتأجيل المتكرّر متأتٍ من تفشّي وباء كورونا، خاصّة أن السلالة الجديدة منه، المعروفة بالمتحوّر «أوميكرون»، سريعة الانتشار، ما «أثار مخاوف جديدة من نفور المُشاهدين من الصالات السينمائية في فترة الوباء وانتشاره».

يُذكر أنّ سلاسل مختلفة من صالات العرض السينمائي التجاري ـ كـ«إي. أم. سي. إنترتاينمنت» و«سينيمارك هولدنغر» و«سينيوورلد غروب» ـ تحتفل، مؤخّراً، بالمبيعات الضخمة لتذاكر «سبايدر ـ مان: نو واي هوم (الرجل ـ العنكبوت: لا درب إلى البيت)، لجون واتس، المستمرّ إلى الآن في عروضه اليومية، والذي حقّق ملياراً و538 مليوناً و282 ألفاً و364 دولاراً أميركياً كإيرادات دولية، منذ 15 ديسمبر/كانون الأول 2021. لكنّ المشكلة كامنةٌ في أنّ شركات المجمّعات السينمائية وصالاتها التجارية لا تملك أفلاماً أخرى في برمجتها المقبلة، أي إلى فصل الربيع 2022.